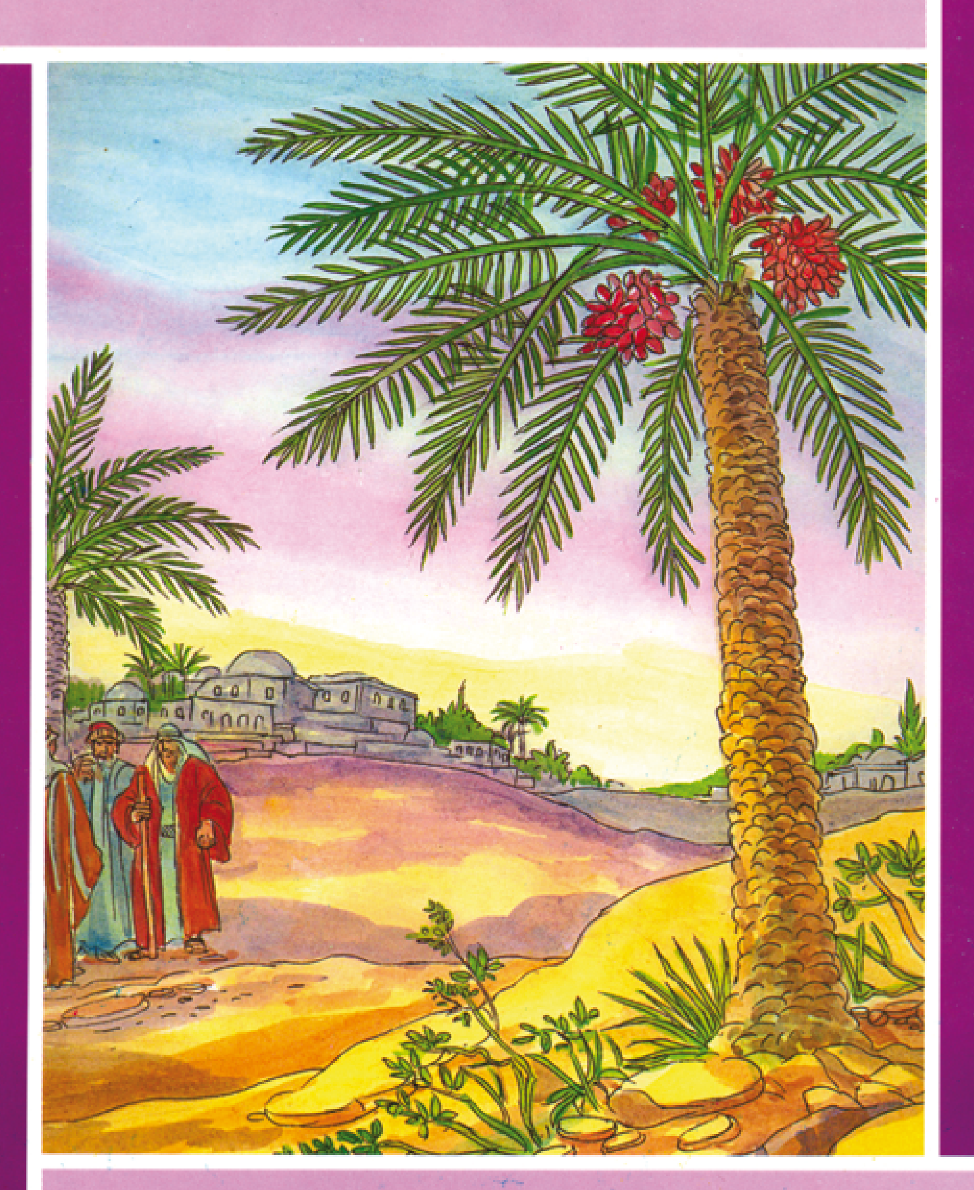
أطفالنا في رحاب القرآن الكريم



آيات وقصة

واذكر في الكتاب مريم





محمد علي قطب

أطفالنا في رحاب القرآن الكريم

آيات وقصة



وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ

محمد علي قطب

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد – مدينة نصر – القاهرة

ت: ٢٢٧٥٢٩٨٤ – فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥

٦ أ شارع جواد حسني – ت: ٢٣٩٣٠١٦٧

www.darelfikrelarabi.com

INFO@darelfikrelarabi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

«أولادنا»

أمانة غالية، نعمة اللَّه، أمرنا بالحفاظ عليهم، ورعايتهم بالتربية السليمة. . وهذه السلسلة:

– تربِّى أولادَنا تربية إسلاميَّةً تعتمدُ عَلَى هُدًى مِنْ كِتابِ اللَّه «القرآن الكريم» تعرِضُ القصصَ على حسَبِ ترتيب المصْحَف لتكوِّنَ فى النهاية «التفسيرَ القصَصىَّ للقرآنِ الكريمِ للناشئينَ» وهمْ فى حَاجَةٍ ماسَّةٍ إلَى هذا التفسير الذى يَصِلُهمْ بماضِيَهُمْ العريقِ، ويعدُّهُمْ لحاضِرِهمْ ومُسْتَقْبَلِهِمْ.

– وفى هذه الطَّبعة الجَديدَة حَرِصْنَا أنْ تكونَ الفائدةُ أكبَر، فقدَّمنا فِى آخرِ كلِّ قصَّة ملحقًا منْ شقَّيْنِ. . الشقُّ الأوَّلُ عدَّةُ أَسْئلَة تَحْفزُ القَارِئَ عَلَى أنْ يُعيدَ القراءَةَ ويتأمَّلَ القصَّةَ جَيداً ليجيبَ عن هذه الأسئلَة، فتستقرَّ المعَانى فى ذِهْنِه، ويزيدَ عِلْمًا بمَا فيها مِنْ قِيمَةٍ دينيةٍ هى الثمرةُ التى نَرْجُوْهَا من نشْر هذِهِ القصَصِ.

– أما الشقُّ الثانى من الملحَقِ فهوَ دُروسٌ فى قواعد اللغَة العربيَّة «علم النَّحْو» إذا تَتبَّعهَا القَارِئ دَرْسًا بَعْدَ درسٍ من بدايَة السِّلْسلة إلَى آخرِهَا يَصِيرُ عَلَى علْمٍ بالحدِّ الأدْنَى مِنْ قواعد النحوِ التِى لا يَنْبَغِى لقَارِئ أنْ يجهلَها، فيستقيمَ لسَانُهُ، وتسلَمَ قراءَتُهُ مِنَ اللَّحْنِ والخطَأ. .

وبهذه القصَصِ وما يَتبَعُهَا من دُروسٍ فى اللغَة نكونُ قَد حصلْنَا عَلَى فَائدة مزدوَجَة، مِنْ قيمٍ دينيةٍ ومعرفَة بقواعد لغتنَا، وَهُوَ مَا يَنْبَغى أنْ نربى عَلَيْه أجْيَالَ أَبْنَائنَا القَادمة. . فنستعيدَ مجدَ الماضى عَلَى أَسُسٍ مِنْ حَضَارَةِ المسْتَقْبَلِ. . ﴿**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ
مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا
فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ
أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي
غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ
مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ
بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ
قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾
فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾
فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ
إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾
فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا
فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ
أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي
ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي
نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي
جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ
وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ مريم

معانى الكلمات:

١– **انْتَبَذَتْ**: تباعدت واتخذت لنفسها مكانًا للعبادة بعيداً عن أهلها.

٢– **رُوحَنَا**: هو جبريل – عليه السلام – ومن ألقابه «روح القدس».

٣– **فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**: أى جاءها فى صورة إنسان تام الخلقة؛ لأنها هى – أو أى أحد من البشر – لا تطيق أن ترى الملائكة فى صورتهم الحقيقية.

٤– **لأَهَبَ لَكِ غُلامًا**: لأبشرك من الله بأنك ستلدين غلامًا.

٥– **أَنَّىٰ يَكُونُ لِى**: كيف يحدث ذلك لى.

٦– **لم يَمْسَسْنِى بَشَرٌ**: أى لم أتزوج فيكون معى رجل أنجب منه ولداً.

٧– **وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا**: أى لست امرأة سوء تفعل الفاحشة المحرمة.

٨– **آيةً**: دلالة عجيبة على قدرة الله عز وجل.

٩– **المَخَاضُ**: الطلق وشدة الولادة وأوجاعها.

١٠– **نَسْيًا مَنْسِيًّا**: النسى هو الشىء الحقير الذى من شأنه أن ينسى، ولا يؤبه له.

١١– **سريًّا**: هو المولود عيسى – عليه السلام – والسَّرىُّ هو العظيم فى قومه، وقال **آخرون**: السرى هو نهر صغير قد انقطع ماؤه، وكانت قريبة من مكانه، فأجرى الله فيه الماء ليشرب منه.

١٢– **شَيْئًا فَرِيًّا**: أى شيئًا عظيمًا مُفتعلاً لا يصدقه إنسان.

١٣– **أُخْتَ هَارُونَ**: هو تشبيه لها كأنها أخت هارون أخى موسى – عليه السلام – فى العبادة والتقوى.. وقال آخرون: إن هارون كان رجلاً صالحًا يعيش فى ذلك الزمان، فكانوا يشبهونها به.

صَلَّت الأسْرَةُ فَـرِيضَـةَ العِشَـاءِ، وَقَضَتْ وِرْدَهَا مِنَ الذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ والدُّعَاءِ، ثُمَّ اتَّخَذَتْ جَلْسَتَهَا المُعْتَادَةَ، فَقَالَ أَبُو أيمَنَ:

تَذْكُرُونَ أنَّنَا فِى جَلَسَاتٍ سَابِقَةٍ تَكَلَّمْنَا عَنْ زَكَرِيَّا – عَلَيْهِ السَّلامُ – وعنِ السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ العَـذْرَاءِ البَـتُـولُ العَابِدَةِ، وَسَنَصِلُ حَـدِيثَنَا اللَّيْلَةَ مَعَ هَذِهِ السَّيِّـدَةِ الطَّاهِرَةِ، الَّتِى أَصْبَحَتْ هِىَ وابْنُهَا عِيسَى – علَيْهِ السَّلامُ – آيَةً للنَّاسِ ورَحْمَةً مِنَ اللَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ. ثُمَّ تَلا آياتٍ مِنْ سُورَةِ مَرْيَم، فِيهَا ذِكْرٌ لِهَـذِهِ السَّيِّدَةِ البَارَّةِ وَوَلَدِهَا، وَقَالَ يَشْرَحُ لأولادِهِ هَذِهِ القِصَّةِ.

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى زَكَرِيَّا – عَلَيْهِ السَّلامُ – وأنَّهُ أَوْجَدَ مِنْهُ فِى حَالِ شَيْخُوخَتِهِ وَكِبَرِهِ، وَعُقْمِ زَوْجَتِهِ اليَصَابَاتِ؛ وَلَدًا زَكِيًّا طَاهِرًا هُوَ سَيِّدُنَا يَحْيَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – عَطَفَ بِذِكْرِ قِصَّةِ مَرْيَمَ، فِى إِيجَادِهِ وَلَدَهَا عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – مِنْ غَيْرِ أَبٍ؛ لِذَا فإِنَّ بَيْنَ القِصَّتَيْنِ مُشَابَهَةً، وَمُنَاسَبَةً؛ وَلِذَلِكَ قَرَنَ اللَّهُ ذِكْرُ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى – عَلَيْهِمَا السَّلامُ – وَمَرْيَمَ وَعِيسَى – علَيْهِ السَّلامُ – فِى كَثِيرٍ مِنْ سُوَرِ القُرآنِ الكَرِيمِ، لِتَـقَارُبِ مَا بَيْنَ الأحداثِ والمَعَانِى؛ وذَلِكَ للدَّلالَةِ عَلى قُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ، وَعِظَمِ سُلْطَانِهِ، وَأَنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ، وَحَتَّى لا تَلْتَبِسَ الحَقَائِقُ بالأبَاطِيلِ وَالأوْهَامِ فِى عُقُولِ النَّاسِ.

لَقَدْ كَبُرَتْ مَرْيَمُ، وَبَلَغَتْ مَبْلَغَ النِّسَاءِ، وَهِىَ مُنْقَطِعَةٌ عَنْ مُجْتَمِعِ النَّاسِ دَاخِلَ المَعْبَدِ، وَلَقَدْ نَشَأَتْ فِى بَنِى إِسْرَائِيلَ نَشْأَةَ طُهْرٍ، وَعَفَافٍ، فَكَانَتْ إِحْدَى النَّاسِكَاتِ العَابِدَاتِ مَشْهُورَةً بِالعِبَادَةِ العَظِيمَةِ وَالتَّبَتُّلِ الدَّءوبِ.

أَصْبَحَتْ مَرْيَمُ شَابَّةً يُزَيِّنُهَا عَفَافُهَا وَطُهْرُهَا، فَضْلاً عَنْ جَمَالِهَا وَحُسْنِهَا، وَتَقَدَّمَ لِخِطْبَتِهَا شَابٌّ مِنْ بَنِى أَعْمَامِهَا، اسْمُهُ يُوسُفُ النَّجَّارُ، وكَانَ عَلَى جَانِبٍ عَظِيمٍ مِنَ الأخْلاقِ الفَاضِلَةِ، والسُّمْعَةِ الطَّيِّبَةِ، فَرَضِيَتْ بِهِ وَقَبِلَتْهُ زَوْجًا لَهَا، فَكَانَ لَهَا عَشِيرًا،

وَالعَشِيرُ هُوَ الَّذِى يُعَاشِرُ، أَىْ يُخَالِطُ وَيُصَاحِبُ وَيُصَادِقُ مِنْ غَيْرِ فُحْشٍ وَلا بَذَاءَةٍ وَلا إِسْفَافٍ، ولا تَهَتُّكٍ، ولا تَبَذُّلٍ، وَظَلا عَلَى ذَلِكَ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ، هِىَ فَتْرَةُ الخُطُوبَةِ بِالمَفْهُومِ المَأْلُوفِ المَعْرُوفِ فِى أَيَّامِنَا، مَعَ اخْتِلافٍ كَبِيرٍ فِى الحُدُودِ والقُيُودِ.

واتَّخَذَتْ مَرْيَمُ – عَلَيْهَا السَّلامُ – فِى بَيْتِ أَهْلِهَا رُكْنًا شَرْقِيًّا، حَجَبَتْهُ عَنْهُمْ بِسِتَارَةٍ – أَوْ مَا يُشْبِهُ ذَلِكَ – لِيَكُونَ لَهَا مِحْرَابًا وَمُصَلًّى، تَأوِى إِلَيْهِ، وَتَتَفَرَّغُ لِلْعِبَادَةِ وَالذِّكْرِ والدُّعَاءِ، فَلا يُزْعِجُهَا فِى خَلْوَتِهَا أَمْرٌ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، وَكَانَتْ خَلْوَتُهَا هَذِهِ هِىَ مُتْعَتُهَا وَنَعِيمُهَا وَمُنْتَهَى سَعَادَتِهَا، وَكَانَ هَذَا وَمَا قَبْلَهُ فِى المِحْرَابِ (المَعْبَدِ) اصْطِفَاءً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ **وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢)** ﴾ [آل عمران]، لَقَدْ جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى نِبْرَاسًا فِى الطَّهَارَةِ والتَّقْوَى والصَّلاحِ لِلنَّاسِ جَمِيعًا، مُنْذُ آدمَ – عَلَيْهِ السَّلامُ – إِلَى أنْ يَرِثَ اللَّهُ الأرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا .

فَلا عَجَبَ أنْ تَكُونَ (أوَّلَ) سَيِّدَةِ نِسَاءِ العَالَمِينَ، كَمَا أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

قَالتْ إِيمانُ : وَمَنْ هُنَّ الأُخْرَيَاتُ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ يَا أَبِى ؟

فَأجَابَ أَبُو أَيْمَنَ : آسِيَةُ ابْنَةُ مُزَاحِمٍ، زَوْجَةِ فِرْعَونَ الَّتِى قَالَتْ : ﴿ **رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١)** ﴾ [التحريم]، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيلدٍ – رَضِىَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا – إِذْ قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا خَدِيجَةُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِبَيْتٍ فِى الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ (وَهُوَ اللُّؤْلُؤ المُجَوَّفُ) لا وَصَبَ فِيهِ وَلا نَصَبَ »، وَفَاطِمَةُ – رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا – الَّتِى قَالَ عَنْهَا أَبُوهَا النَّبِىُّ ﷺ : « فَاطِمَةُ بِضْعَةٌ مِنِّى » أىْ قِطْعَةٌ مِنِّى، وَلَيْسَ غَيْرهُنَّ يَا ابْنَتِى لا قَبْلَهُنَّ وَلا بَعْدَهُنَّ.

وَعَادَ أَبُو أيمنَ يُكْمِلُ حَدِيثَهُ، فَقَالَ:

وَفِى ذَاتِ يَوْمٍ – كَرِيمٍ عَظِيمٍ – بَيْنَمَا كَانَتْ مَرْيَمُ فِى خَلْوَتِهَا، وَقَدْ حَلَّقَتْ فِى العَلْيَاءِ عِبَادَةً وَطُهْرًا، فُوجِئَتْ بِإِنْسَانٍ غَرِيبٍ يَقِفُ أمَامَهَا، فاضْطَرَبَتْ وأجْفَلَتْ، وَدَاخَلَهَا شَىْءٌ مِنَ الرُّعْبِ، ثُمَّ تَمَاسَكَتْ، وَلاذَتْ بِمَنْ تَعَوَّدَتْ أنْ تَلُوذَ بِهِ، وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَقَالَت: ﴿ **إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا** ﴾.

لَقَدْ انْتَصَبَ أمَامَهَا فَجْأةً لَمْ يَدْخُلْ مِنْ بَابٍ أوْ نَافِذَةٍ، فَظَنَّتْ بِهِ الظُّنُونَ، فَعَاذَتْ بِالرَّحْمَنِ مِنْهُ، حَتَّى وإنْ كَانَ تَقِيًّا صَالِحًا، فَمَا هَكَذَا يَدْخُلُ الصَّالِحُونَ الأتْقِيَاءُ عَلَى النَّاسِ، يَقْتَحِمُونَ عَلَيْهِم بُيُوتَهُمْ مِنْ غَيْرِ اسْتِئْذَانٍ وَلا إِشْعَارٍ.

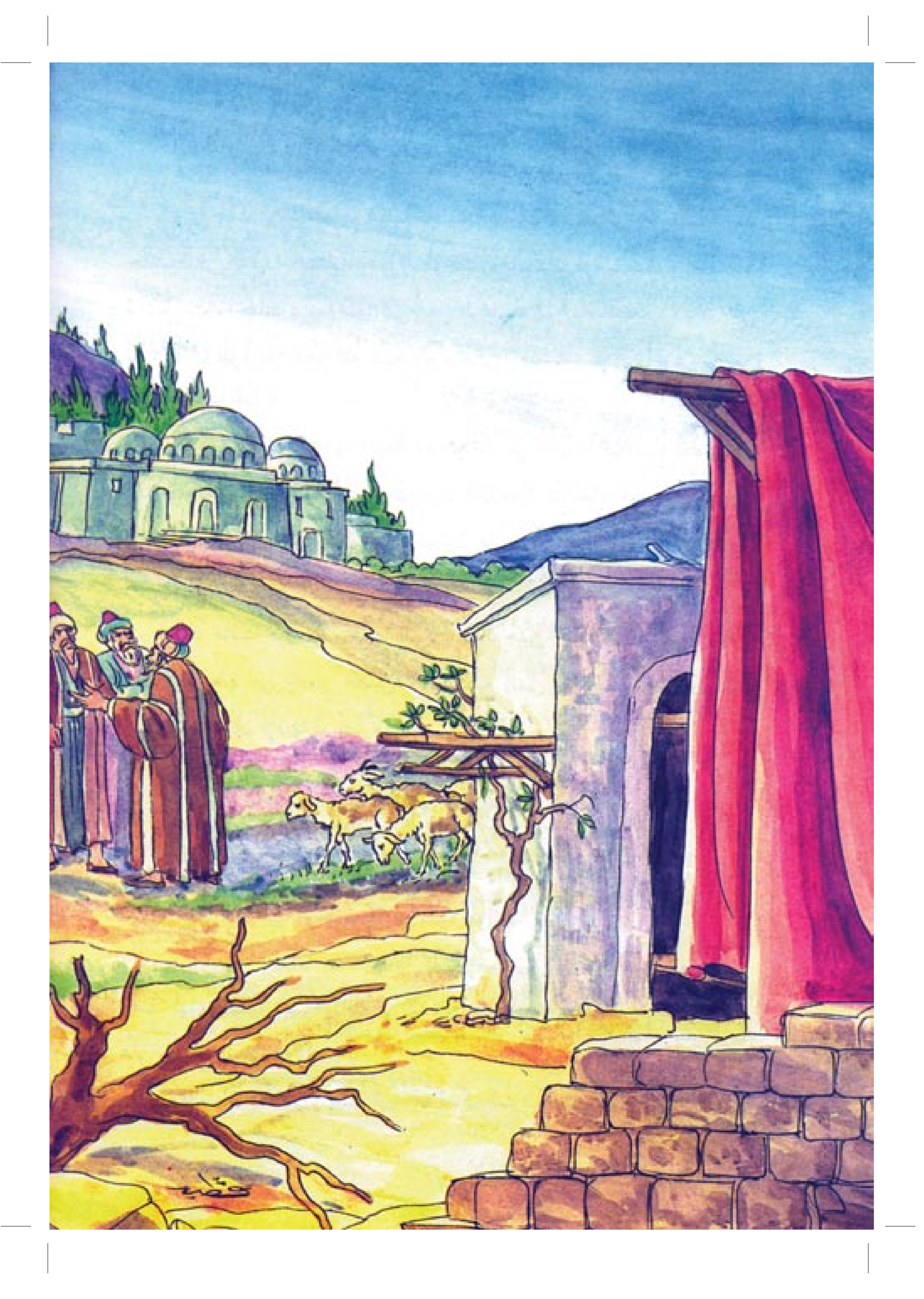
لَقَدْ عَاذَتْ مَرْيَمُ – عَلَيْهَا السَّلامُ – بِالرَّحْمَنِ جَلَّ جَلالُهُ، وَهِىَ تَعْلَمُ عِلْمَ اليَقِينِ أنَّهَا فِى حِصْنٍ حَصِينٍ، لا يَسْتَطِيعُ إِنْسِىٌّ وَلا جِنِّىٌّ، حَتَّى وَلَوْ كَانَ إِبْلِيسَ نَفْسَهُ، أنْ يُؤْذِيَهَا أوْ يَضُرَّهَا.

فَمَاذَا كَانَ الأمْرُ، وَمَاذَا قَالَ لَهَا هَذَا الزَّائِرُ الغَرِيبُ؟!

إِنَّهُ جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ السَّلامُ – الرُّوحُ الأمِينُ، رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ، إِلَى المصْطَفَيْنَ مِنْ عِبَادِهِ، يُبَلِّغُهُمْ رِسَالاتِ اللَّهِ واجْتِبَاءَهُ وأوَامِرَهُ.. يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧)** ﴾.

قَالَ أَيْمَنُ: لِمَاذَا أَضَافَ اللَّهُ كَلِمَةَ «سَوِىٍّ» إِلَى كَلِمَةِ بَشَرًا وَجَعَلَهَا وَصْفًا لَهَا، وَكَلِمَةَ «بَشَرٌ» كَافِيَةٌ فِى الدِّلالَةِ عَلَى آدَمِيَّتِهِ، وَلِمَاذَا لَمْ يَأتِ جِبْرِيلُ عَلَى حَقِيقَتِهِ المَلائِكِيَّةِ؟!

وَقَالَتْ إِيمانُ: وَأنَا كُنْتُ أُرِيدُ أنْ أسْأَلَ السُّؤَالَ نَفْسَهُ، يَا أَبِى.



فَقَالَ أَبُو أيمنَ: إِنَّهُ سُؤَالٌ فِى مَحَلِّه وَضَرُورِىٌّ، وَيَنُمُّ عَنْ مُتَابَعَةٍ دَقِيقَةٍ لِلمَوْضُوعِ، تَشْرَحُ صَدْرِى، وَتَسرُّ خَاطِرِى، وَقَبْلَ الإِجَابَةِ أُرِيدُ أَنْ أسألَكُمَا، أيمنُ وإِيمانُ: هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمَا أَنْ يَمَسَّ سِلْكًا كَهْرَبَائِيًّا مَعْزُولاً، وَمَا الَّذِى يَحْدُثُ؟

أجابَ أَيْمَنُ: لا بُدَّ أَنْ يَلْسَعَهُ التَّيَّارُ الكَهْرَبَائِى، فإِمَّا أَنْ يُؤْذِيَهُ بِرَجْفَةٍ شَدِيدَةٍ، أَوْ بِصَعْقَةٍ فَيَقْضِىَ عَلَيْهِ.

قَالَ أَبُو أَيمنَ: مِنْ هُنَا كَانَ السَّبَبُ فِى تَمَثُّلِ جِبْرِيلَ – عَلَيْهِ السَّلامُ – بِالبَشَرِ السَّوِىِّ؛ لأَنَّهُ كَائِنٌ كَهْرَبَائِىٌ مَحْضٌ، لَوْ خَالَطَ بَشَرًا أَوْ إِنْسَانًا، وَهُوَ عَلَى حَقِيقَتِه لَقَتَلَهُ عَلَى الفَوْرِ وَدَمَّرَهُ تَدْمِيرًا، ألا تَذْكُرُونَ مَا كَانَ يُصِيبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَعْرَاضِ الوَحْىِ، عِنْدَمَا كَانَ يُخَاطِبُهُ جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ السَّلامُ – بِالقُرْآنِ.

قَالَتْ إِيمانُ: نَعَمْ، نَعَمْ! صَحِيحٌ! تَذكَّرْتُ الآنَ، لَقَدْ كَانَ ﷺ يَرْتَجِفُ، وَتُصِيبُهُ قَشْعَرِيرَةٌ، وَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا، يَسِيلُ مِنْ جَبِينِهِ الشَّرِيفِ، وَبَدَنِهِ الطَّاهِرِ، كَأَنَّهُ حَبَّاتُ اللُّؤْلُؤِ، مُشَبَّعَةً بِرِيحِ المِسْكِ.

قَالَ أَبُو أيمنَ: هَذَا مِنْ مُجَرَّدِ المُخَاطَبَةِ فَمَا بَالُكَ بِالمُبَاشَرَةِ، إِنَّهُ أمْرٌ لا يُطِيقُهُ بَشَرٌ، أمَّا كَلِمَةُ «السَّوِىِّ» فَهِىَ تأكِيدٌ لتمَامِ عَنَاصِرِ الآدَمِيَّةِ البَشَرِيَّةِ فِى أمِينِ الوَحْىِ، أَوْ الرُّوحِ الأمينِ، جِبْرِيلَ – عَلَيْهِ السَّلامُ.

ثُمَّ تَابَعَ أَبُو أيمنَ: طَمْأَنَهَا جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ السَّلامُ – بِأَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، يُبَشِّرُهَا بالاصْطِفَاءِ العَظِيمِ، والاخْتِيَارِ الكَرِيمِ، فَقَالَ لِضهَا: لا تَجْزَعِى وَلا تَخَافِى، وَلا تَضْطَرِبِى ﴿ **إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا** ﴾.

كَيْفَ..؟!

لَقَدْ زَادَهَا قَوْلُهُ رُعْبًا، وَخَشْيَةً واضْطِرَابًا، وكَأنَّهَا مَا تَزَالُ فِى خَشْيَتِهَا الأُولَى عِنْدَمَا بَرَزَ لَهَا، فَاسْتَنَدَتْ بِرأسِهَا مِنَ الدُّوَارِ، ثُمَّ اسْتَنَدَتْ باليدِ الأُخْرَى إِلَى الجِدَارِ، حَتَّى إِذا تَمَاسَكَتْ قَلِيلاً سَأَلَتْ: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) ﴾، مِنْ أَيْنَ يَأتِينِى الحمْلُ، وكَيْفَ، وَأنَا لَمْ أَتَزَوَّجْ بَعْدُ، ولَمْ أَقْتَرِنْ بِرَجُلٍ؟ وَمَا مَسَّنِى بَشَرٌ عَلَى الإِطْلاقِ، حَتَّى خَطِيبِى وابنُ عَمِّى يُوسُفُ النَّجَّارُ..؟!

كَيْفَ يَحْدُثُ هَذَا أَيُّهَا الرَّسُولُ؟

فَأجَابَهَا الرُّوحُ الأمِينُ: ﴿ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾.

لَقَدْ قَضَى اللَّهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – أَمْرًا وَحُكْمًا، فَلا رَادَّ لأمْرِهِ أَوْ حُكْمِهِ بِأنَّهُ سَيُوجِدُ مِنْكِ أَيَّتُهَا العَذْرَاءُ البَتُولُ غُلامًا، وإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكِ زَوْجٌ، وإِنْ لَمْ تَأتِى بِفَاحِشَةٍ، فَلَسْتِ مِنَ السَّاقِطَاتِ البَغَايَا، بَلْ أَنْتِ مُطَهَّرَةٌ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ.

قَالَ أَشْرَفُ: إِنَّ كَلِمَةَ ﴿ هين ﴾ هِىَ نَفْسُ مَضْمُونِ الرَّدِّ عَلَى زَكَرِيَّا – عَلَيْهِ السَّلامُ – وَعَلَى مَرْيَمُ – عَلَيْهَا السَّلامُ – وأعْتَقِدُ أنَّهَا للتأكِيدِ عَلَى ذَاتِ المَعْنَى، فَلا يَكُونُ فِى شَأنِهَا شَكٌّ أَوْ جَدَلٌ مِنْ قِبَلِ الضَّالِّينَ.

فَقَالَ أَبُو أيمَنَ: أَحْسَنْتَ الفَهْمَ يَا وَلَدِى، وَأَزِيدُكَ فَهْمًا بِأَنْ أَقُولَ تَكْمِلَةً للرَّدِّ عَلَى زَكَرِيَّا – عَلَيْهِ السَّلامُ – بِأنَّ اللَّهَ قَالَ لَهُ: ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٩) ﴾ [مريم] أَىْ أنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الإِنْسَانَ الأوَّلَ، أبَانَا آدَمُ – عَلَيْهِ السَّلامُ – وَلَمْ يَكُ شَيْئًا، بَلْ خَلَقَهُ اللَّهُ بِلا أَبٍ وَلا أُمٍّ، ثُمَّ خَلَقَ حَوَّاءَ مِنْهُ، فَكَانَتْ إِنْسَانًا مِنْ أَبٍ بِدُونِ أمٍّ، وَخَلَقَ البَشَرَ جَمِيعًا مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مِنْ آبَاءٍ وأُمَّهَاتٍ، وَهَذِهِ القُدْرَةُ عَلَى الخَلْقِ لَنْ تَعْجزَ عَنْ إِيجَادِ إِنْسَانٍ مِنْ أُمٍّ بِلا أَبٍ، وبِخَلْقِ عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – مِنْ مَرْيَمَ، اكْتَمَلَتْ

أَرْبَعُ صُورٍ لخَلْقِ الإِنْسَانِ، آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلامُ - بِلا أبٍ ولا أُمٍّ، وَحَوَّاءُ مِنْ أَبٍ بِلا أُمٍّ، وَالبَشَرُ جَمِيعًا مِنْ أَبٍ وأُمٍّ، ثُمَّ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلامُ - مِنْ أُمٍّ بِلا أبٍ، وَلِذَلِكَ يَرُدُّ اللَّهُ عَلَى الَّذِينَ اتَّخَذُوا عِيسَى إِلهًا، أَوْ جَعَلُوهُ ابنَ اللَّهِ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** (٥٩) ﴾ [آل عمران].

قَالَتْ أُمُّ أيمَنَ - بِصَوْتٍ تَخْنِقُهُ العَبَرَاتُ -: جَلَّتْ قُدْرَةُ اللَّهِ وَعَلَتْ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ الخَلاقُ العَلِيمُ.

وَتَابَعَ أَبُو أيمنَ يَقُولُ: سَكَنَتْ مَرْيَمُ - عَلَيْهَا السَّلامُ - إِذْعَانًا لأمرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَنُزُولاً عِنْدَ حُكْمِهِ وَتَدْبِيرِهِ، وَلَكِنَّهَا مَا زَالتْ فِي نَفْسِهَا مُضْطَرِبَةً بَعْضَ الاضْطِرَابَاتِ، وَعَلامَاتُ الخَوْفِ بَادِيَةٌ عَلَى وَجْهِهَا، فَقَالَ لَهَا الرُّوحُ الأمِينُ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلامُ -: ﴿ **وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ** ﴾ وَدَلِيلاً مِنْ دَلائِلِ قُدْرَتِهِ جَلَّ جَلالُهُ، الَّذِى نَوَّعَ فِى خَلْقِهِمْ وإِيجَادِهِمْ مِنَ العَدَمِ، عَلَى هَذِهِ الصُّوَرِ الأرْبَعِ.

استَمَعَتْ مَرْيَمُ إِلَى تِلْكَ الكَلِمَاتِ مِنْ مَلَكِ الوَحْيِ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلامُ - فَزَالَ كُلُّ مَا كَانَ يُسَاوِرُهَا مِنَ الظُّنُونِ، وَمَا لَبِثَ الرُّوحُ الأمِينُ أَنْ أَضَافَ قَبْلَ أنْ يُغَادِرَهَا ﴿ **وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا** ﴾ أىْ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَائِنَا مِمَّنْ اصْطَفَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا، يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْحِيدِهِ.

وَنَفَخَ جِبْرِيلُ فِى جَيْبِهَا - أىْ فَتْحَةِ ثَوْبِهَا تَحْتَ العُنُقِ، نَفْخَةً، أحَسَّتْ بِهَا تَسْرِى هَوَاءً طَيِّبًا مُنْعِشًا فِى صَدْرِهَا، وَقَبْلَ أنْ يُغَادِرَهَا جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلامُ - خَتَمَ قَائِلاً: ﴿ **وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا** ﴾، إِذْ قَضَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ، وَلا رَادَّ لِقَضَائِهِ فِيمَا أرَادَ.

وكَمَا كَانَ حُضُورُ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلامُ - فَجأةً، كَانَ ذَهَابُهُ فَجْأةً فَقَدِ اخْتَفَى تَمامًا.

وَشَعرتْ مَريمُ – عَلَيْهَا السَّلامُ – كَأنَّ دَفْقًا مِنَ الأحَاسِيسِ العُلْويَّةِ والمشَاعِرِ السَّاميَةِ، تَفيضُ فِى كَيَانِهَا كُلِّه، وَتَسْرِى مَعَ الدَّمِ فِى عُرُوقِهَا وَشَرَايينِهَا.. إنَّها النَّفْخَةُ الإلهيَّةُ تَتَفَاعَلُ فِى ذَاتِهَا.

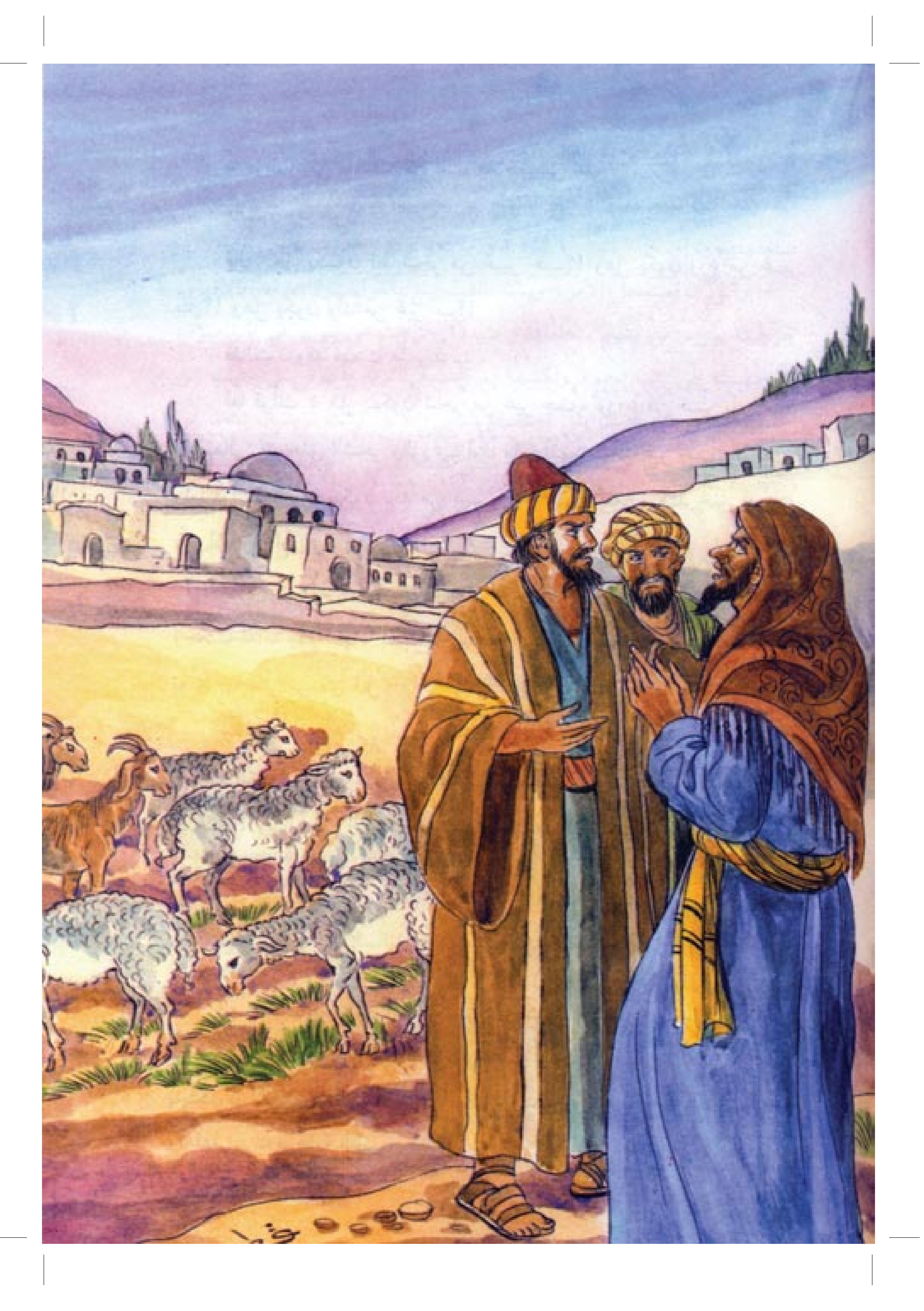
وَمَرَّتْ الأيَّامُ بِمَرْيَمَ – عَلَيْهَا السَّلامُ – وَنَفْخَةُ الرُّوحِ الأمِينِ جِبْرِيلَ – عَلَيْهِ السَّلامُ – فِى جَيْبِهَا تَتَفَاعَلُ وَتَتَعَاظَمُ، وَتُؤثِّرُ فِى كُلِّ ذَرَّةٍ فِى كَيَانِهَا، فَتَبْدُو أحْيَانًا مُتَكَدِّرَةً، وَمُتَحَيِّرَةً، لَكِنَّ إيمانَهَا يَغْلِبُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَيَرُدُّهُ عَنْ وِجْدَانِهَا مَذْمُومًا مَدْحُوراً.

كَانَتْ تَسْتَغْرِقُ فِى العِبَادَةِ والطَّاعَةِ، صَلاةً وَدُعاءً، فَتَعْلُو فَوْقَ كُلِّ إحْسَاسٍ مَادِّىٍّ، وَكَأنَّهَا مَلاكٌ يُحَلِّقُ فِى الأجْوَاءِ فَوْقَ السَّحَابِ.

وَلَمْ يَدُمْ ذَلِكَ طَوِيلاً، فَقَدْ آذَنَ تكوُّر بَطْنِهَا بِالحَمْلِ، فِى مِحْنَةٍ نَفْسِيَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَمُعَانَاةٍ قَاسِيَةٍ، إنَّهَا تَعْرِفُ نَفْسَهَا، وَحَقِيقَةَ أمْرِهَا، وَلَكِنْ هَلِ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهَا يُدْرِكُونَ حَقِيقَةَ الأمرِ وَيُصَدِّقُونَهُ؟

إنَّهُمْ يَتَسَاءَلُونَ، وَكَانَ خَطِيبُهَا يُوسُفُ النَّجَّارُ، أولَ المتسَائِلينَ؛ لأنَّهُ كَانَ أَقْرَبَ النَّاسِ إلَيْهَا، وأشَدَّهُمْ لُصُوقًا بِهَا، فَلَمَّا رَأى ثِقَلَ بَطْنِهَا وَكِبَرَهُ، وَتَزَايُدَ ذَلِكَ مَعَ الأيَّامِ اسْتَنْكَرَهُ مِنْهَا، وَبَدَأتْ وَسْوَسَةُ الشَّيْطَانِ تَلْعَبُ بِفُؤَادِهِ وَعَقْلِهِ، وَتُثِيرُهُ كَىْ يَسْألَهَا، وَيَسْتَفْسِرَ عَنْ حَالِهَا، وَمَا ألمَّ بِهَا.. وَمِنْ أيْنَ جَاءَهَا ذَلِكَ؟

وَأخيرًا لَمْ يُطِقْ صَبْرًا، إلا أنَّهُ كَانَ عَلَى دَرَجَةٍ عَالِيَةٍ مِنْ أَدَبِ النَّفْسِ وَعِفَّةِ الكَلِمَةِ، فَلَمْ يُصَرِّحْ بِالسؤَالِ، إنَّمَا عَرَّضَ تَعْرِيضًا، وَلَمَّحَ تَلْمِيحًا، إذْ قَالَ لَهَا:



يَا مَرْيَمُ، إنِّى سَائِلُك عَنْ أمْرٍ، فَلا تَعْجَلِى عَلَىَّ.

قَالَتْ: وَمَا هُوَ؟

قَالَ: هَلْ يكونُ قطُّ شَجَرٌ مِنْ غَيْرِ حَبٍّ؟! وَهَلْ يَكُونُ زَرْعٌ مِنْ غَيْرِ بَذْرٍ؟! وَهَلْ يَكُونُ وَلَدٌ مِنْ غَيرِ أبٍ؟!

فَقَالَتْ - وَقَدْ فَهِمَتْ مَا يُرِيدُ -:

أمَّا قَوْلُكَ: هَلْ يَكُونُ شَجَرٌ مِنْ غَيْرِ حَبٍّ، وَزَرْعٍ مِنْ غَيْرِ بَذْرٍ؟ فَإنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ خَلَقَ الشَّجَرَ وَالزَّرْعَ - أوَّلَ مَاخَلَقَهُمَا - مِنْ غَيْرِ حَبٍّ وَلا بَذْرٍ، وأمَّا قَوْلُكَ: وَهَلْ يَكُونُ وَلَدٌ مِنْ غَيْرِ أبٍ؟ فإنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ خَلَقَ آدَمَ مِنْ غَيْرِ أبٍ وَلا أُمٍّ.

فارتَاحَتْ نَفْسُ يُوسُفَ لجَوَابِهَا.. وازْدَادَ ارْتِيَاحًا حِينَ قَصَّتْ عَلَيْه، وَحَكَتْ لَهُ مَا وَقَعَ لَهَا، فَصَدَّقَهَا وَسَلَّمَ لَهَا، وَلَمْ يَفْسَخْ خُطُوبَتَهُ مِنْهَا، بَلْ تَعَلَّقَ بِهَا أكْثَرَ مِنْ ذِى قَبْلُ، وَأحَاطَهَا بالرِّعَايَةِ والحَنَانِ.

وَعَادَتْ «مَرْيَمُ» إلَى نَفْسِهَا تُسَائِلُهَا: إنْ كَانَ يُوسُفُ خَطِيبِى وَلَصِيقِى فِى خِدْمَةِ المَعْبَدِ، وَقَرِيبِى فِى الطَّاعَةِ والعِبَادَةِ للَّه عَزَّ وَجَلَّ، قَدْ سَاوَرَتْهُ الشُّكُوكُ، وَسَألَ هَذه الأَسْئِلَةَ، وإنْ كَانَ قَدْ صَدَّقَنِى أخِيرًا، فَهَلْ - يَا تُرَى - يُصَدِّقُنِى النَّاسُ، سَوَاءٌ الخَاصَّةُ مِنْ أَهْلِى وَأقرِبَائِى، أَوِ العَامَّةُ مِنْ دُونِهِمْ؟ مَاذَا أفْعَلُ؟ وَكَيْفَ أتصرَّفُ؟

وَبَدَتْ الصُّورَةُ قَاتِمَةً سَوْدَاءَ فِى عَيْنَيْهَا..

إِنَّهُمْ سَوْفَ يَقُولُونَ أشْيَاءَ كَثِيرَةً، وَيَفْتَرُونَ الكَذِبَ، وَلَسَوْفَ يَرْمُونَنِى بالفَحْشَاءِ، وَيَتَّهِمُونَنِى بِالتَّفْرِيطِ.. وَخَاصَّةً أُولَئِكَ الأحْبَارَ والكُهَّانَ، الَّذِينَ يَحْتَكِرُونَ لأنْفُسِهِم سُلْطَةَ الفَهْمِ وَالحُكْمِ، وَيَتَصَوَّرُونَ أنَّهُمْ أصْحَابُ الشَّرِيعَةِ، وَأَهْلُهَا مِنْ دُونِ عَامَّةِ النَّاسِ.

وَلَقَدْ حَدَثَ هَذَا بِالفِعْلِ، إِنَّمَا كَانَ هَمْسًا وَوَشْوَشَةً، وَفِى إِطَارٍ مُحدُودٍ، كَمَا تَوجَّهَتْ أَصَابِعُ الاتِّهَامِ إِلَى خَطِيبِهَا يُوسفَ النَّجَّارِ، بِأَنَّهُ كَانَ صَاحِبَهَا.

وَقَبْلَ أنْ يَسْتَفْحِلَ الأمْرُ، وَيَشْتَدَّ الضَّجِيجُ بِالقَوْلِ، وَالتَّصْرِيحُ بالاتِّهَامِ، خَرَجَتْ مَرْيَمُ مِنْ بَيْنِهِمْ بِحَمْلِهَا وَحِيدَةً، خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا فِى النَّاصِرَة، وَتَوَجَّهَتْ إِلَى بَيْتِ لحْمٍ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَقْصِدِ القَرْيَةَ ذَاتَهَا، بَلْ ذَهَبَتْ إِلَى إِحْدَى ضَوَاحِيهَا، حَيْثُ يَقِلُّ اجْتِمَاعُ النَّاسِ؛ لأنَّهَا كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَبْتَعِدَ عَنْ أَعينِ الخَلْقِ قَدْرَ مَا تَسْتَطِيعُ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢)** ﴾ أىْ تَنَحَّتْ عَنْ أَهْلِهَا وَقَوْمِهَا إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ.

وَحِينَ قَارَبَتْ الوُصُولَ إِلَى بَيْتِ لحْمٍ، اشْتَدَّ بِهَا الطَّلْقُ ﴿ **فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ** ﴾، وَكَانَت النَّخْلَةُ جَافَّةً لا ثَمَرَ فِيهَا، وَلا سَعَفَ، فَالفَصْلُ فَصْلُ شِتَاءٍ وَلَيْسَ أوانَ الرُّطَبِ وَالبَلَحِ.. عِنْدَئِذٍ فَاضَتْ نَفْسُهَا حُزْنًا وَهَمًّا وَكَمَدًا.. عَلَى مَا بِهَا وَمَا يَنْتَظِرُهَا، فَقَالَتْ فِى أَسًى: ﴿ **قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (٢٣)** ﴾.

كَانَتْ الجلسةُ قَدْ طَالَتْ بَعْضَ الشَّىءِ، فاسْتَرَاحَ أَبُو أيمنَ قَلِيلاً، ثُمَّ اسْتَأنَفَ الحَدِيثَ، قَالَ:

وَلَمَّا بَلَغَتْ مَرْيَمُ - عَلَيهَا السَّلامُ - أَقْصَى آلامِهَا البَدَنِيَّةِ والنَّفْسِيَّةِ تَجلَّتْ عَلَيْهَا رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى، الَّتِى لَمْ تَتَخَلَّ عَنْهَا أَبَدًا، وَجَاءَهَا النِّدَاءُ مِنْ تَحْتِهَا ﴿ **أَلاَّ تَحْزَنِي** ﴾ إِذْ أمَرَ اللَّهُ تَعَالَى جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلامُ - أنْ يُطَمْئِنَهَا وَيُبَدِّدَ مَخَاوِفَهَا وآلامَهَا، وَيُهَوِّنَ عَلَيْهَا مَا هِىَ فِيهِ، وَيُخْبِرَهَا أَيْضًا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ فَجَّرَ مِنَ الأَرْضِ تَحْتَهَا يَنْبُوعًا مِنَ المَاءِ، العَذْبِ الصَّافِى الرَّقْرَاقِ، وَهَا هُوَ ذَا يَسْرِى جَدْوَلاً عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ..!!

كَـمَا نَادَاهَا جِبْـرِيلُ أيضًـا : ﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ** ﴾ تمسَّكِي بِـهَـا فِي حَـالَةِ الطَّلْقِ، ثُمَّ هُزِّيهَا ﴿ **تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا** (٢٥) ﴾ فَهَذِهِ النَّخْلَةُ بِأَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، سَوْفَ تُؤْتِي أُكلهَا رَطبًا، ثَمـرًا مِنَ البَلَحِ فِي أوَّلِ نُضُوجِـهِ، ﴿ **فَكُلِي وَاشْرَبِي** ﴾ كُلِي مِنْ هَذَا الرُّطَبِ فَفِيهِ الغِذَاءُ الكَافِي للحَامِلِ عِنْدَ وَضْعِهَا، يُعَوِّضُهَا كَثِيرًا، وَيَشُدُّ صُلْبَهَا وَيُقَوِّيهَا، واغْتَرِفِي مِنَ المَاءِ واشْرَبِي، وأطْفِئِي حَرَارَةَ الجَوْفِ وَظَمَأَ الحلْقِ.

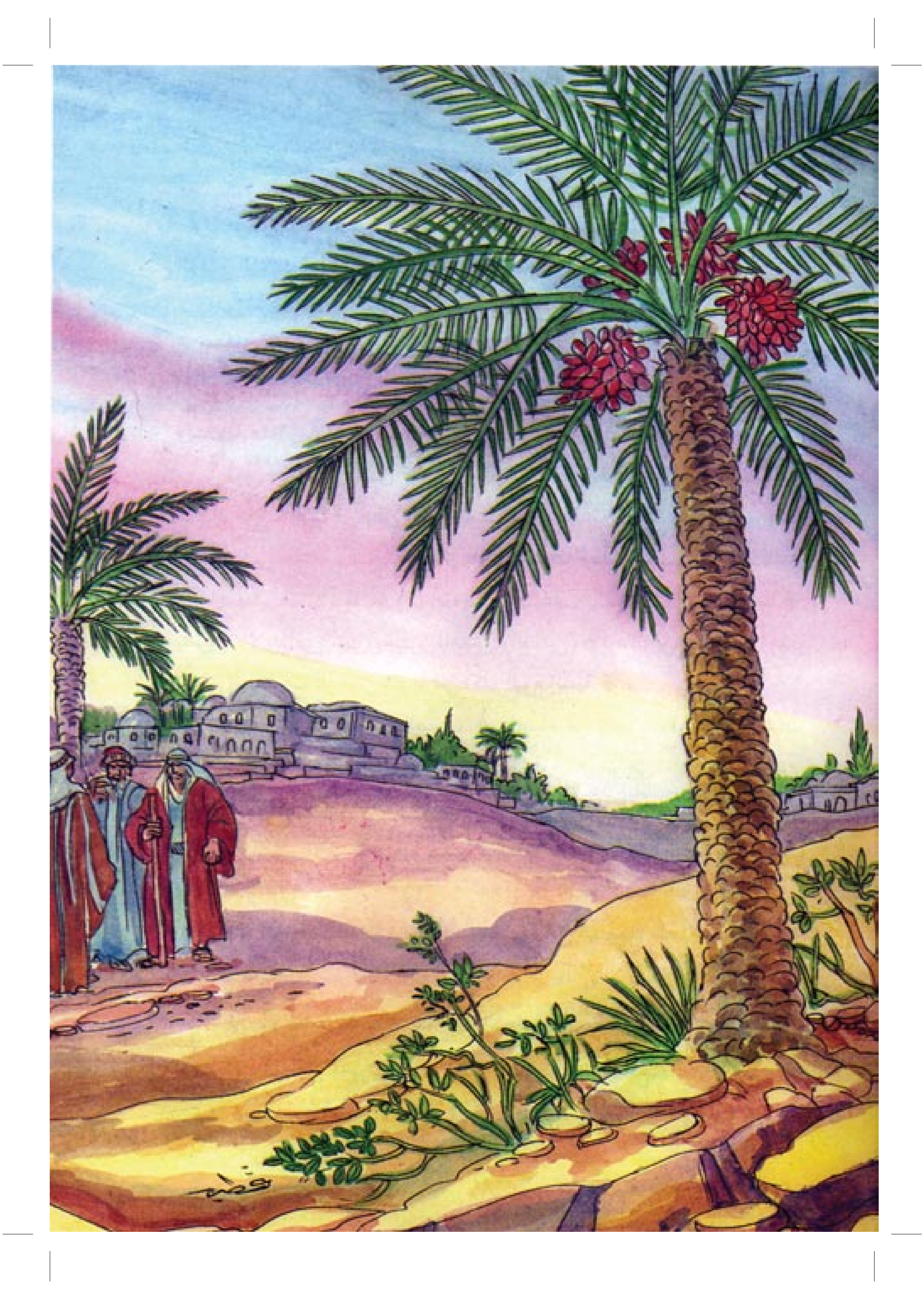
هدَأتْ مَـرْيَـمُ قَلِيـلاً، واسْـتَـرَاحَـتْ بَعْـدَ أَنْ وَضَـعَـتْ حَـمْلِهَـا، وَأَكَلَـتْ وَشَـرِبَـتْ، وَمَسَحَتْ العرَقَ الَّذِي تَصَبَّبَ مِنْهَا، فَبَلَّلَ وَجْهَهَا وَجِسْمَهَا.

ثُمَّ نَظَرَتْ إِلَى الطِّفْلِ المَوْلُودِ بَاسِمَةً دَامِعَةَ العَيْنِ، وَتَلَفَّتَتْ سَائِلَةً نَفْسِهَا.. كَيْفَ سَتُقَابِلُ النَّاسَ بِهَذَا المَوْلُودِ.. وَمَاذَا تَقُولُ لَهُمْ إِذَا سَأَلُوهَا: مَنْ أَبُوهُ؟!

قَالَتْ أُمُّ أيمنَ: إِنَّهُ مَوْقِفٌ عَصِيبٌ وَصَعْبٌ عَلَى امْرَأةٍ أنْ تَجِدَ نَفْسَهَا فِيهِ.. فَمَاذَا فَعَلَتْ مَرْيَمُ يَا تُرَى؟!

قَالَ أَبُو أيمنَ: كَانَتْ رَغْمَ مَخَاوِفِهَا وَاثِقَةً بِرَبِّهَا، مُؤْمِنَةً بِهِ، إِنَّهَا لَمْ تَأتِ بِفَاحِشَةٍ، وَهَذَا المَوْلُودُ هُوَ أمْرُ اللَّهِ المَقْضِيُّ، فَقَـامَتْ وَلَفَّتْ المَوْلُودَ العَظِيمَ بِخِـرْقَـةٍ مِنْ ثَوْبِهَـا، ثُمَّ نَظَرَتْ حَوْلَهَا، فَوَجَدَتْ كَهْفًا يَلْجَأُ إِلَيْهِ رُعَاةُ المَاشِيَةِ لَيْلاً بِقُطعَانِهِمْ، فَقَصَدَتْهُ حَيْثُ كَانَ خَالِيًا، وَوَضَعَتْ طِفْلَهَا الوَلِيدَ فِي المِذْوَدِ، وَهُوَ وِعَاءٌ مِنَ الخَشَبِ أوِ الطِّينِ الجَافِّ يُوضَعُ فِيهِ عَلَفُ المَاشِيَةِ، ثُمَّ جَلَسَتْ بِقُرْبِهِ مُتَأمِّلَةً، وَهُوَ يَزْدَادُ إِشْرَاقًا وَتَبَسُّمًا، فَيُخَفِّفُ عَنْهَا مَا ألَمَّ بِهَا مِنْ لَوْعَةٍ وَحُزْنٍ، وإِشْفَاقٍ مِنَ المسْتَقْبَلِ.

قَـالَتْ إِيمَـانُ: وَمَـاذَا فَـعَلَتْ مَـرْيَـمُ – عَلَيْـهَا السَّـلامُ – بَعْـدَ ذَلِكَ؟ هَلْ ظَلَّتْ فِي مَكَانِهَا حَبِيسَةً، أمْ غَادَرَتْ الكَهْفَ مَعَ طِفْلِهَا الوَلِيدِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ؟



قَالَ أبُو أيمنَ: إِنَّهَا يَا إِيمانُ تَسَاؤُلاتٌ كَثِيرَةٌ وَمُتَشَعِّبَةٌ، وَلَكِنَّهَا تَدُورُ حَوْلَ مِحْوَرٍ وَاحِدٍ، هُوَ: كَيْفَ خَرَجَتْ مَرْيَمُ – عَلَيْهَا السَّلامُ – مِنْ هَذَا الوَضْعِ الشَّائِكِ.. الدَّقِيقِ.. الصَّعْبِ.. فِي آنٍ وَاحِدٍ؟

وَرَاحَ أبُو أيمنَ يَتَخَيَّلُ حَالَ مَرْيَمَ وَيَحْكِى لأُسْرَتِهِ:

لَقَدْ جَلَسَتْ مَرْيَمُ – عَلَيْهَا السَّلامُ – بِإِزَاءِ المِذْوَدِ، وَسَرَحَتْ بِفِكْرِهَا وَخَيَالِهَا وَتَصَوُّرَاتِهَا، هُنَا وَهُنَاكَ تُفَكِّرُ فِى أَمْرِهَا، وَكَيْفَ تَخْرُجُ مِنْ وَرْطَتِهَا وابْتِلائِهَا هَذَا؟

لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِى قَدَّرَ لَهَا هَذَا القَدَرَ، واصْطَفَاهَا هَذَا الاصْطِفَاءَ، مُنْذُ أنْ كَانَتْ جَنِينًا فِى بَطْنِ أُمِّهَا حِنَّةَ، مَنْذُورةً لخِدْمَةِ المَعْبَدِ، إِلَى أن تَوَلاهَا اللَّهُ تَعَالَى طِفْلَةً وَشَابَّةً، لَمْ يَتَخَلَّ عَنْهَا أبداً؛ لأنَّهَا فِى حِفْظِهِ وَرِعَايَتِهِ.. فَخَاطَبَهَا عَلَى لِسَانِ جِبْرِيلَ – عَلَيْهِ السَّلامُ – ﴿ **وَقَرِّي عَيْنًا** ﴾ يَا مَرْيَمُ، لا تَقْلَقِى، إِنِّى مَعَكِ، فاهْدَئِى واطْمَئِنِّى ﴿ **فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦)** ﴾.

وَكَانَ عِنْدَهُمْ نَوعٌ مِنَ الصَّوْمِ، هُوَ الصِّيَامُ عَنِ الكَلامِ، فَيَسْكُتُ الإِنْسَانُ فِى صَوْمِهِ هَذَا، وَلا يُخَاطِبُ أَحَدًا، وَلِهَذَا أوْصَاهَا الوَحْى: إِذَا أتَاكِ آتٍ مِنَ النَّاسِ يَسألُكِ أوْ يَشْتَدُّ بِاللَّوْمِ عَلَيْكِ، وَيُفحِشُ فِى القَوْلِ والاتِّهَامِ، فَلا تَرُدِّى بِشَىْءٍ، واتْرُكِى الأمْرَ لِلَّهِ، فَهُوَ الَّذِى سَيُدَافِعُ عَنْكِ، فَهُوَ جَلَّ شَأْنُهُ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا.

قَالَ أَشْرَفُ: وَمَاذَا فَعَلَتْ أُسْرَةُ مَرْيَمَ فِى غِيَابِهَا؟ ألَمْ يَتَحَرَّكْ أحَدٌ لِلسُّؤَالِ عَنْهَا؟!

قَالَ الوَالِدُ: لَقَدْ كَانَ يُوسُفُ النَّجَّارُ خَطِيبُهَا، أوَّلَ مَنِ افْتَقَدَهَا فِى غِيَابِهَا، وَلَمْ تَكُنْ أخبرتْهُ بِمَقْصِدِهَا، فَخَافَ وأشْفَقَ عَلَيْهَا، وَمِنْ ثَمَّ رَاحَ يَبْحَثُ عَنْهَا فِى كُلِّ مَكَانٍ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَهْتَدِ إِلِيهَا.

وكَذلِكَ أهْلُهَا وأقْرِبَاؤهَا، فَقَدْ أهَمَّهُمْ غِيَابُهَا وأقْلَقَهُمْ، وَرَاحُوا هُمُ الآخَرُونَ يَبْحَثُونَ عَنْهَا، أمَّا مَرْيَمُ – عَلَيْهَا السَّلامُ – فَقَدْ اسْتَعَدَّتْ للمواجَهَةِ، فَقَامَتْ وَحَملَتْ طِفْلَهَا بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا فِى احْتِضَانٍ وَرِفْقٍ وَحَنَانٍ، وَمَضَتْ فِى اتِّجَاهِ مَسَاكِنِ أَهْلِهَا.

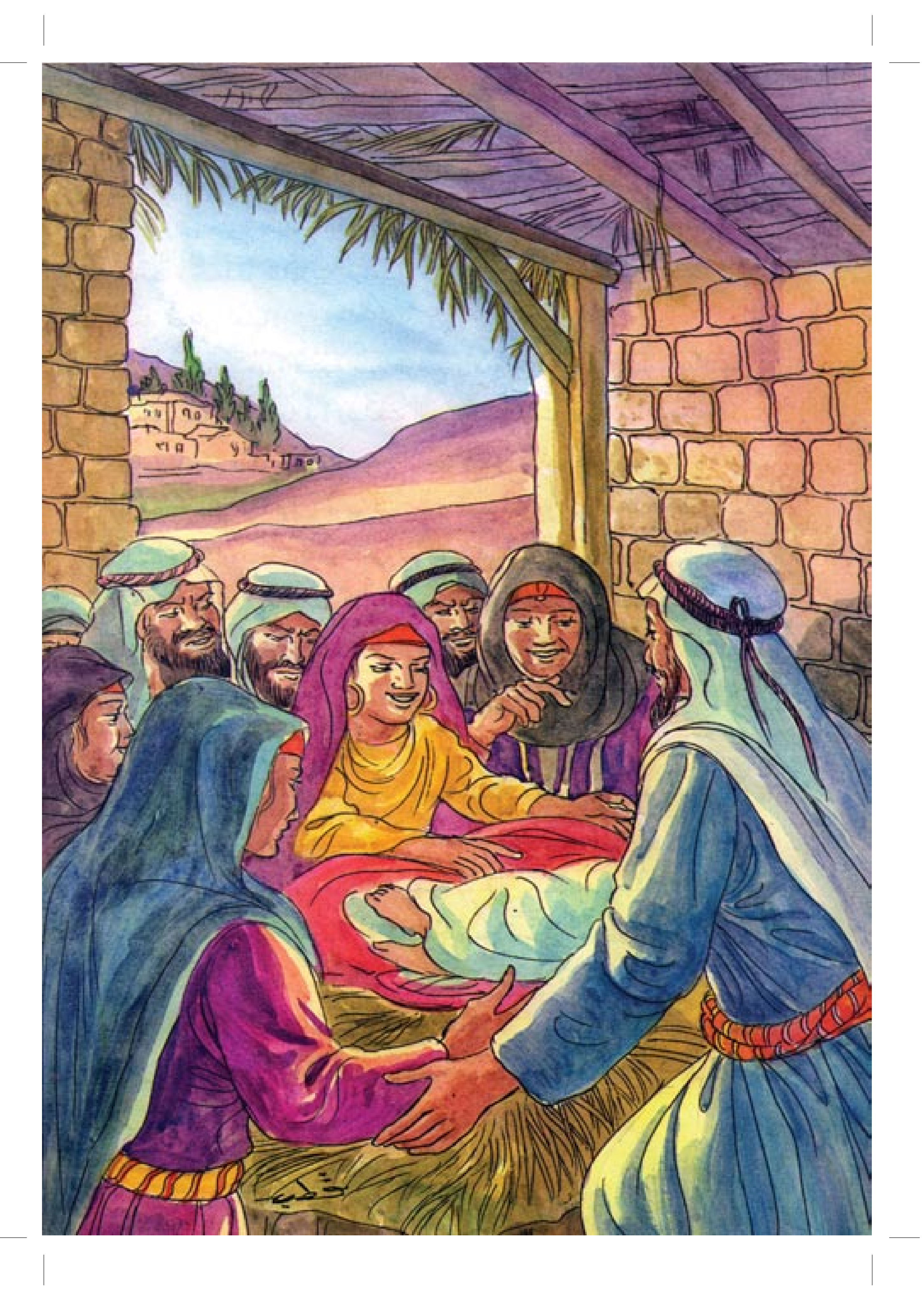
كَانَتْ مُجْهدَةً مُتْعَبَةً مِنَ الوَضْعِ وآلامِه، شَأنُ كُلِّ النِّسَاءِ، ولَكنَّهَا اسْتَمَدَّتْ مِنْ إِيمانِهَا قُوَّةً وَتَابعَتْ المَسِيرَ، ﴿ **فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ** ﴾، وَدَخَلَتْ عَلَى قَوْمِهَا وأهْلِهَا، وَبَيْنَ ذِرَاعَيْهَا الطفْلُ، فَرَوَّعَهُمْ مَشْهَدُهَا، واشْتَدَّ تَعَجُّبُهُمْ، فـ﴿ **قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا** (٢٧) ﴾ أيْنَ عَفَافُكِ وَطَهَارَتُكِ ﴿ **يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا** (٢٨) ﴾.

يَا مريمُ، يَا ابْنَةَ عِمْرَانَ، يَا شَبِيهَةَ هَارُونَ النَّبِيِّ فِى العِبَادَةِ والصَّلاحِ، مِنْ أَيْنَ جِئْتِ بِهَذَا الوَلِيدِ، ولَمْ يَكُنْ بَيْتُكِ بَيْتَ فَاحِشَةٍ فَأَبُوكِ مَا كَانَ سَيِّئَ الأخْلاقِ، وَأُمُّكِ لَمْ تأتِ بِفَاحِشَةٍ، فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟!

وَظَلَّتْ مَرْيَمُ لائِذَةً بِصَمْتِهَا وَصَوْمِهَا عَنِ الكَلامِ.

ولَمَّا طَفَحَ الكَيْلُ بِمَرْيَمَ – عَلَيْهَا السَّلامُ – ولَمْ تُطِقْ صَبْرًا عَلَى مَا يَقُولُونَ، أشَارَتْ إِلَى الطِّفْلِ عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – وَهُوَ فِى ا لسَّرِيرِ، فَعَجِبُوا مِنْ إِشَارَتِهَا، واتَّسَعَتْ أحْدَاقُ عُيُونِهِمْ، ثُمَّ قَالُوا مُتَهَكِّمِينَ بِهَا، ظَانِّينَ أنَّهَا تَسْخَرُ مِنْهُمْ وَتَلْعَبُ بِعُقُولِهِم ﴿ **كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا** (٢٩) ﴾.. ثُمَّ كَانَتِ المفَاجَأةُ.. فَقَدْ نَطَقَ الصَّبِيُّ الرَّضِيعُ، وَقَالَ كَلامًا عَجَبًا.

كَانَ فِى أَثْنَاءِ ذَلِكَ يَرْضَعُ، فَنَزَعَ الثَّدْىَ مِنْ فَمِهِ، ثُمَّ اتَّكَأَ عَلَى جَانِبِهِ الأَيْسَرِ، و﴿ **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ** ﴾ وَفَزِعُوا جَمِيعًا وَتَرَاجَعُوا، وانْعَقَدَتْ ألْسِنَتُهُمْ مِنَ الدَّهْشَةِ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا النُّطْقَ وَلا بِحَرْفٍ وَاحِدٍ.



ولَمْ يَسْكُتْ عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – عَنِ الكَلامِ، وإِنَّمَا تَابَعَ قَائلاً: ﴿ **آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢)** ﴾.

هَكَذَا تَوَلَّى عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – بِقُدْرَةِ اللَّهِ الدِّفَاعَ عَنْ أُمِّهِ، وَبَلَّغَ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَهُوَ لا يَزَالُ فِى المَهْدِ، بِأَنَّهُ جَاءَ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ أُمُورَ الدِّينِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المنْكَرِ.

وَخَتَمَ عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – مَقَالَتَهُ بِالسَّلامِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ فِى حَيَاتِهِ وَمَمَاتِهِ، ثُمَّ بَعْثِهِ حَيًّا كَسَائِرِ الخَلائِقِ.

أَمَّا مَرْيَمُ – عَلَيْهَا السَّلامُ – فَقَدْ عَاشَتْ تُرَبِّى وَلِيدَهَا، إِلَى أَنْ شَبَّ، وَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَكَذَّبَهُ القَوْمُ، وَأَرَادُوا قَتْلَهُ فَرَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ حَيًّا.

لَقَدْ عَاشَتْ مَرْيَمُ بَعْدَ ذَلِكَ مَحَلَّ تَقْدِيسٍ وَإِجْلالٍ مِنْ أَتْبَاعِ ابْنِهَا وَحَوَارِيِّيهِ، فَهِىَ الصِّدِّيقَةُ المبَارَكَةُ، أُمُّ المَسِيحِ، وَمَا لَبِثَتْ أَنْ أَسْلَمَتْ الرُّوحَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، لِتَدْخُلَ فِى عِبَادِ رَبِّهَا وَتَدْخُلَ جَنَّتَهُ، قَبْلَ سَابِقِى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، حَيْثُ يَقُولُ ﷺ: «لَوْ أَقْسَمْتُ لَبَرَرْتُ، لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَبْلَ أُمَّتِى إِلا بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً.. مِنْهُمْ: إِبْرَاهِيمُ وإِسْمَاعِيلُ، وإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ، والأَسْبَاطُ، وَعِيسَى وَمُوسَى، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ».. صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

واقرءوا يا أبنائى . . قول الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ واذْكُرْ في الْكتَاب مَرْيَمَ إِذ انتَبَذَتْ منْ أَهْلهَا مكَانًا شَرْقيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ من دُونهمْ حجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنا فتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بالرَّحْمَنِ منكَ إن كُنتَ تَقيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّك لأَهَبَ لَك غُلامًا زَكيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلك قَالَ رَبُّك هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاس وَرَحْمَةً مِّنَّا وكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ به مكَانًا قَصيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جذْع النَّخْلَة قَالَتْ يَا لَيْتَني متُّ قَبْلَ هَذَا وكُنتُ نَسْيًا مَّنسيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا من تَحْتهَا أَلاَّ تَحْزَني قَدْ جَعَلَ رَبُّك تَحْتَك سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْك بجذْع النَّخْلَة تُسَاقطْ عَلَيْك رُطَبًا جَنيًّا (٢٥) فَكُلي وَاشْرَبي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ منَ الْبَشَر أَحَدًا فَقُولي إِنِّي نَذَرْتُ للرَّحْمَن صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسيًّا (٢٦) فَأَتَتْ به قَوْمَهَا تَحْملُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جئْت شَيْئًا فَريًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوك امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّك بَغيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْه قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ في الْمَهْد صَبيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّه آتَانيَ الْكتَابَ وَجَعَلَني نَبيًّا (٣٠) وَجَعَلَني مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَاني بالصَّلاة وَالزَّكَاة مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بوَالدَتي وَلَمْ يَجْعَلْني جَبَّارًا شَقيًّا (٣٢) وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ﴾

الأسئلة

١– أين كانت مريم – عليها السلام – عندما فاجأها الملاك واقتحم عليها المكان؟

٢– صف حالها فى ذلك الموقف، وهل تعتبر هذا شيئًا عاديًا بالنسبة لها أو لنا، وهل يجوز أن يحدث مثل ذلك. اذكر آيةً من القرآن الكريم تعلمنا ذلك الأدب الرفيع.

٣– ماذا فعلت مريم – عليها السلام – عندما دخل عليها جبريل فى خلوتها؟

٤– من هو هارون الذى ورد اسمه فى الآيات الكريمة؟

٥– قامت مريم – عليها السلام – برحلة قصيرة هربًا من تساؤلات الناس، من أين بدأتها، وأين استقرت؟

٦– فى بيت لحم واجهت مريم – عليها السلام – موقفًا صعبًا، ما هُو؟ وكيف أعانها الله عليه؟

٧– ماذا تعرف عن يوسف النجار؟ وما الحوار الذى دار بينه وبين مريم – عليها السلام – وهل صدقها واقتنع بما قالت؟

٨– كيف دافع المسيح – عَلَيْهِ السَّلامُ – عن أمه؟ وماذا كان عمره آنذاك؟

درس النحو

تمرينات على بعض ما سبق

١- أدخل كان أو إِحدى أخواتها على كل جملة من الجمل الآتية: ثم اضبط آخر كل كلمة بالشكل:

النَّسِيمُ عَلِيل - الطفل نائم - صيف هذا العام حار - البستان مزهر - المجتهدون فائزون - الرياضيون نشطون.

٢- أعد كتابة الجمل السابقة فى السؤال الأول، بعد أن تُدْخِلَ إِنَّ أو إِحدى أخواتها على كل جملة، واضبطها بالشكل.

٣- ضع أداةً من الأدوات الناسخة تناسب المقام فى كل مكان خال من الأمثلة الآتية:

... الكتابَ خَيْرُ صَدِيقٍ .. الجوُّ صَحْوًا .. الصِّدْقَ مُنْجٍ .. الصِّدْقَ مُنَجِّيًا .. الصِدْقُ مُنَجِّيًا.

٤- أعرب الجمل الآتية، إِعرابًا كاملاً:

إِنَّ المجتهِدَ فَائِزٌ - كَانَ الرَّأىُ حَقًّا - كَأَنَّ البَدْرَ طَبَقٌ مِنَ الفِضَّةِ - حَسِبْتُ الكَسَلَ مُفِيدًا.

وإِلى اللقاء يا أبنائى فى القصة التالية

(ذلك عيسى ابن مريم)

سلسلة
أطفالنا في رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة

تطلب جميع منشوراتنا من وكيلنا الوحيد بالكويت والجزائر
دار الكتاب الحديث